القرآن الكريم يَرُدُّ علىٰ مَن زَعَمَ

أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

أخذ هذا القرآن مِن الكتب السابقة

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب
(هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان)
من الصفحة ١٤٩ حتى الصفحة ١٥٦

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناءً على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم: كتب الإمام
تحميل كتب الإمام وتحميل أبحاث مختارة

مدير الموقع:
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

القرآن الكريم
يَـرُدّ عَلَىٰ مَنْ زَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ
صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم
أَخَذَ هٰذا القُرآنَ منَ الكتب السَّابقة

لقد جاء القرآن الكريم بأدلةٍ قاطعة ، ترد علىٰ من زعم أن سيدنا محمداً صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أخذ هذا القرآن الكريم من الكتب السماوية السابقة ، وأبطل ذلك من وجوه متعددة :

أولاً : إنَّ القرآن الكريم ردَّ علىٰ من زعم ذلك ، بِأَن محمداً رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم هو النبي الأمي ، وأميَّته معروفة عند قومه العرب الذين تربىٰ بينهم ونشأ فيهم ، فهي ـ أي : أُميته ـ مُجمع عليها عند قومه العرب كلهم ، كما هي مُجْمَعٌ عليها عند أهل الكتاب ، ومِنْ ثمَّ ردَّ الله تعالىٰ تلك المزاعم الباطلة بما هو معروف ومجمع عليه عند العرب الأميين وعند أهل الكتاب .

أما دليل أنه معروف عند جميع العرب : فقال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ .

ففي هذا حجة علىٰ جميع العرب الأميين ، بأنَّ قضيَّة محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو رسول الله حقاً ، أوحىٰ الله تعالىٰ

إليه، وعلمه، وأنزل عليه الكتاب والحكمة ، ليس ذلك من نفسه ، ولا تعلَّم من غيره ، ولم يأخذ من كتاب قبله ، لأنه أميٌّ باعترافهم.

وأما أنَّه معلوم أميته عند أهل الكتاب ، فقد قال سبحانه في إجماع أهل الكتاب: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: جميعكم: عربكم وعجمكم ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

وفي (صحيح) البخاري ، عن عبد الله بن عَمْرو رضي الله عنهما في صفة النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في التوراة: «يا أيها النبيُّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحِرْزاً للأميِّين ، أنتَ عبدي ورسولي ، سمَّيتُك المتوكِّل ، ليس بفظٍ ولا غليظٍ ، ولا صخَّابٍ في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة؛ ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله تعالىٰ حتى يقيم به الملَّةَ العوجاء ، بأن يقولوا: لا إلَه إلا الله ، ويفتح به أعيناً عُمْياً ، وآذاناً صمَّاً ، وقلوباً غلفاً».

إذاً كيف يُتَصور عقلاً أن يأتي بهذا القرآن الكريم من الكتب قبله ، وهو أميٌّ لم يقرأ ولم يكتب؟!!

إذاً ما هو إلا رسول الله ، تولَّىٰ الله تعالىٰ تعليمه ، فأوحىٰ إليه وعلمه ما لم يكن يعلم ، وأنزل الله عليه الكتاب والحكمة

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ .

فَأُمِّيَّتُهُ صلَّىٰ الله عليه وآله و سلَّم هي حجة له علىٰ صدق نبوَّته ، وحَقِّيَّة رسالته ، ولذلك نبه الله تعالىٰ إلىٰ هذه الحجة الباهرة فقال: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ .

ثانياً: ردَّ القرآن علىٰ مَنْ زعم أن سيدنا محمداً صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم جاء به من كتب قبله ، أو من عالم عبرانيّ فقال: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ فكيف يُؤخذ هذا القرآن العربيُّ المبين عن أعجميٍّ لا يكاد يُبين؟! .

روىٰ ابن أبي شيبة ، وابن جرير ، والبيهقي في (الشعب) عن مجاهد في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ ﴾ الآية. قال مجاهد: قال بعض كفار قريش: إنما يُعَلِّم محمداً عبدٌ لابن الحضرمي ، وهو صاحب كُتُب ـ أي: كماجاء في رواية السدّي: كان نصرانياً ، وكان قد قرأ التوراة والإنجيل، وكان أعجمياً يتكلم بالرومية ـ فقال تعالى: ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ .

ثالثاً: لو فُرِضَ المستحيل ، وأنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم جاء بهذا القرآن الكريم من الكتب السابقة ، فكَيف استطاع أن يَسْبُكها بصفة الإعجاز التي تَحدَّىٰ بها جميع الفصحاء والبلغاء ، وكلهم عجزوا عن أن يأتوا بمثله: حديثاً ، أو سورة ، أو سُوَراً ؟!! .

فإعجاز القرآن الكريم للإنس والجن دليل قاطع على أنه صلَّى الله عليه وآله وسلّم هو وغيره عاجزون عن أن يأتوا بمثله.

إذاً القرآن الكريم هو كلام الله تعالىٰ حَقاً، أنزله علىٰ سيدنا محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رسوله حقاً، بصفة الإعجاز، ليكون أكبر معجزة تُشهد العالم المكلَّف كلَّه أنَّ محمداً رسول الله حقاً، لا يحتمل أمره غَير ذلك، وَأَنَّ هذا القرآن هو كلام الله حقاً لا يحتمل غير ذلك أبداً، وأَنَّ الله تعالىٰ هو حقٌّ واجب الوجود، فإنَّ هذا كلامه، فكيف تُنكر وجوده؟ فآيات القرآن، وآيات الأكوان، كلُّها أدلَّةٌ قاطعةٌ وشواهِدُ سَاطِعَةٌ علىٰ أنه لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وأن مُحَمَداً رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

رابعاً: إنَّ كل ذي عقل وَرَوِيَّة، إذا تَفكَّر في أَمر سيدنا محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ومجيئه بهذا القرآن العظيم، يتلوه علىٰ الناس، يعلم أَنَّهُ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليس له تدخل في صنع هذا القرآن وصياغته، وليس هو من معلوماته ومكتسباته، ولا هو من جمعه وتصنيفاته، وليس هو من جملة كلامه، وإنما هو كلام الله تعالىٰ المعجز، أنزله عليه بعد تمام أربعين سنة، وعلَّمه قراءته، وأمره أن يقرأه علىٰ الناس كما علَّمه الله تعالىٰ.

وذلك أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم بقي أربعين سنة قبل أن يُنبَّأ وينزل عليه الوحي بالقرآن، لم يأت قومه بسورةٍ واحدةٍ، ولا بآيةٍ واحدةٍ أصلاً، بل هو صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم معروف بأنه أميٌّ لم يقرأ، ولم يكتب، ولم يتردَّد إلىٰ أحدٍ يتعلَّم منه ذلك.

فَلَمَّا تَمَّ له أربعون سنة، ونبَّأه الله تعالىٰ، وجاءه جبريل الأمين عليه السلام، وضمَّه إليه ثلاث مرَّات يقول له: «اقرأ».

فيقول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم: «ما أنا بقارئٍ» ـ أي: لست بقارئٍ لأني أميٌّ لم أتعلم القراءة ـ.

ثم يقول له جبريل عليه السلام: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

فألقىٰ ذلك علىٰ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فإذا برسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم يصير قارِئاً، عالماً بما أوحاه الله تعالىٰ إليه، ويُحَقِّقُ الله تعالىٰ قوله ووعده حيث يقول: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أي: علينا جمعه في صدرك محفوظاً، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾.

وأخذ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُبلِّغ ما أنزل الله تعالىٰ عليه، ويتلو علىٰ الناس آيات الله تعالىٰ، ويقرأ عليهم القرآن علىٰ وجهٍ خاصٍّ، وأسلُوب لم يكن معروفاً من قبلُ في أدائه، وترتيله، ومقاطعه، ووقوفه.

إذاً القضية هي أن القرآن نَزَل مِنْ عِنْدِ الله تعالىٰ، وبقوةٍ من الله تعالىٰ، وإلىٰ هذه الحجة الباهرة يرشدنا الله تعالىٰ في قوله سبحانه ملقِّناً لرسوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الحجة المفحمة للخصوم: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟!.

خامساً: إنَّ هذا القرآن جاء بمناهج تشريعية، وأحكام تكليفيةٍ، تختلف مع ما جاءتْ به الكتب السماوية السابقة في مناهج شرعها وأحكامها: كَمّاً وكَيفاً، ومِقداراً وأوقاتاً، وتختلف

معها في كثير من الشروط والقيود ، وتنسخ كثيراً من أحكام الشرائع السابقة.

فكيفية الصلوات التي جاء بها القرآن الكريم تختلف عن كيفياتها السابقة ، ومقاديرها تخالف مقادير تلك وأوقاتها ، وهكذا الزكاة والصيام ، وهكذا في كثير من الأوامر والمناهي...

وإلىٰ هذا يرشد الله تعالىٰ العقلاء ، ويبين لهم: أن الشرائع الإلٰهية جاءت بالمصالح البَشرية وسعادتهم ، فهي تختلف باختلاف الأمم والأجيال ، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ الآية.

فجاءت مناهج التشريع الإلٰهي أنظمةً محكمةً من لدن حكيم عليم خبير ، كافيةً وافيةً بما فيه صلاح أمور العباد والبلاد ، وسعادة كل أمة حسب ما يُصلح أمورها وشؤونها المتناسب مع زمانها ، ثم ختم الله تعالىٰ الشرائع بهذه الشريعة المحمديَّة صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، الجامعة لجميع ما فيه مصالح العباد والبلاد ، وجميع ما يعود عليهم بالخير ، ويباعدهم من الشر ، ويرفعهم إلىٰ قِمَّة السعادة ، ويحفظهم من التردِّي في حضيض الشقاوة ، ألا وهي الشريعة المحمدية الصالحة المُصلحة لكل زمانٍ ومكانٍ ، وكلِّ قرنٍ وجيلٍ على مختلف طبقاتهم وألوانهم ، وعلى مختلف عصورهم وأماكنهم ، فإنها شريعة واسعة سمحة ، جليَّة واضحة ، ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

فلو أَنَّ سيدنا محمداً صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم أخذ هذا القرآن

عن الكتب قبله؛ لجاء علىٰ سَنَن الكتب قبله ، وَلانْتَهَجَ مِنهاجهم في الشرائع والأحكام ونحوها ، وليس الأمر كذلك ، بَلْ جَاءَ بشريعة واسعةِ الأحكام ، تتسع لجميع الأنام ، علىٰ مدىٰ الأزمنة والأيام إلىٰ يوم القيامة .

سادساً: إنَّ هذا القرآن كثيراً ما يُخبر عن بعض الوقائع المعروفة عند علماء الكتاب الأولين ، الذين لا اتصال لهم به ، وهو صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم أميٌّ لم يقرأ كتبهم ، ولم يكن هو حاضراً في زمن وقوعها ، ثم يأتي بها مفصَّلَة ومبيَّنةً؛ إذاً مِنْ أين عَلِمَ هذِهِ المعلومات الثابتة ، والإخبارات عن الوقائع الماضية؟؟!!

وإلىٰ هذا يرشدنا الله تعالىٰ في قوله في قصة يوسف ، بعد ما ذكرها من أولها إلىٰ آخرها ، مفصَّلةً مُبينةً من جميع الجوانب: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ .

وهكذا سبحانه يُخبرنا في القرآن الكريم عن قضية الطوفان الذي أجراه علىٰ قوم نوح ، ويذكر ذلك الأمر مفصَّلاً إلىٰ أن استوت سفينة نوح علىٰ الجوديِّ سالمةً بأهلها ، ثم يقول سبحانه من باب الاحتجاج علىٰ من يزعم أن هذا القرآن الكريم هو من تلقاء نفس رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، يقول سبحانه: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ﴾ أي: لا علم لك ولا لقومك بذلك حتىٰ علَّمك الله تعالىٰ ، فَأوحىٰ إليك هذا القرآن ، وأخبرك فيه عما أخبرك به من الأمور العظام ، والقضايا الجسام ، فمَنْ زعم أنك جئتَ به من عندك واصطنعته؛ فهو جاحد معاند ﴿ فَٱصْبِرْۖ﴾ أي: علىٰ ما يقولون ﴿ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ .

ويخبر سبحانه عن قصة مريم ، وما جرىٰ حولها في التنازع علىٰ كفالتها ، ثم يقول سبحانه: ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ .

فلا شك في أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ما كان موجوداً وقتئذٍ بين بني إسرائيل حين اختصموا في كفالة السيدة مريم ، ونازعوا في ذلك رسول الله زكريا علىٰ نبينا وعليه الصلاة والسلام ، فهذا أمر لا يَتردَّد فيه عاقل ، ولكنَّ المقصود في هذا النفي عين الإثبات؛ بالدليل القاطع لدىٰ كلِّ عاقل ، علىٰ أَنَّ علمه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم بتلك الوقائع إنما كان من باب الوحي الإلٰهي إليه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، لا مِنْ طريق مشاهدة الأمور ، فإنَّه لم يحضرها ، ولا مِن طريق الدراسة لكتب الأولين فهو أمّي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: لم يكتب ، ولم يقرأ ، ولم يتلق عن معلِّم ، إذاً ما هو إلا أنه رسول الله ، أوحىٰ الله تعالىٰ إليه هذا القرآن الكريم الذي هو كلامه سبحانه ، وأخبره عمَّا هنالك.

سابعاً: لقد جاء القرآن الكريم بمبادئ إصلاحية هامَّة ، ومواضيع علمية سامية ، لم تأت في الكتب السابقة من قضايا تشريعية ، ومن قضايا تكوينية ، ومن إخبارات غيبية ، ومن حجج وبراهين عقلية ، يعلم ذلك كل عاقل أَلَمَّ بَعض الإلمام بالكتب السابقة ، إذاً فكيف يُمكن أن يأخذ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم هذا القرآن عن الكتب السماوية السابقة وغيرها.

* * *